

المسلمون والحرب النفسانية في الجدل

د / محمد عبد العزيز داود
قسم الدعوة والثقافة الاسلامية

التمهيد للبحث

خلق الله الكائنات وفق سنن فطرية ، ومنحها الحياة ، وجعل سبحانه وتعالى لكل كائن لسانا ناطقا يعبد الله به ، وحسا مرهفا يشعر به قدرة الله « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا » .
(الاسراء آية ٤٤)

وقال تعالى : « والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون »
(النحل آية ٤٩ ، ٥٠)

هذا شأن الموجودات كلها سوى الانسان !!!

فله شأن عجيب .. وأمر مستغرب !!!

فرغم ما منحه الله من عقل مفكر وقلب مدبر وعهد اليه الخلافة في الأرض هو الكائن الوحيد الذي يحاول أن يتمرد على أوامر الله ويتنكب طريق الهدى وينأى عن سبيل الرشاد .

ولو تقصى الانسان تاريخ البشر لوجدهم في أمر عجب . لا تستقيم بهم سبل الايمان فترة الا وشردوا عنها فترات ، وما تفتحت قلوبهم للايمان الا غشيتها سحائب الكفران .

ومن رحمة الله بالانسانية انها كلما ابتعدت عن رحابه وأبقت من حماه
أرسل لها الهداة من الرسل مبشرين ومنذرين .

وشهدت مسيرة الانسانية كوكبة من الرسل الذين اضاءوا العالم بنور
الحق فازالوا غشاوة العقول واذابوا صداً القلوب .

وسارت كل رسالة تؤمن بالرسول السابق وتمهد لللاحق وتشرع بما يفي
حاجة عصرها .

ولقد تجمعت روافد الرسل والأنبياء قبل الاسلام في الديانتين :
(اليهودية) ثم (النصرانية) التي قادت الانسانية فترة من الزمن ، ثم
ما لبثت أن دب الخلاف بين كهنتها ووقع بينهم شقاق رهيب في طبيعة
المسيح عليه السلام .

وما ان جاء القرن السادس الميلادى الا وكانت منارات الهدى قد
انطفأت في مشارق الارض ومغاربها ، وعلى الطرف المقابل كانت دولة الفرس
المجوسية قد أصابها الانهيار والتفكك ، ودار صراع بين آلهة الخير والشر فيها
وحل بالمجوسية ما حل بالنصرانية من تصدع ، وبين هؤلاء وهؤلاء كانت
جزيرة العرب بمنأى عن هذا كله ، مجتمع مغلق له عاداته الفريدة وتقاليد،
الموروثة من الشهامة والمروءة والنجدة .

غير أن العرب انتكست في معتقداتها ، واشركت في معبودها ، واصابها
ما أصاب العالم من لوثة الشرك ، وضعف الفكر ، مع قوة في الشهوات
واقبال على نعيم الدنيا لدرجة الاغراق ورغبة جامحة في السيادة والتسلط
وعصبيات طائشة تحارب وتسالم من أجل تقاليد موروثة وعادات متأصلة .

هذا هو حال العالم قبيل مبعث الرسول محمد ﷺ . . الشيطان يجيء
ويغدو في اقطار الارض بنشر خبثه وينفث سمومه ويروج أباطيله .

وتلفت الناس حولهم يتحسسون الخطى الى الله ، ولكن من يأخذ
بيدهم ؟

أ النصرانية التى اشركت ؟

أم اليهودية التى انحرفت ؟

أم المجوسية التى افترت ؟

أم يتلمسونها لدى العرب وتحت أقدام أصنامهم ؟

ولقد أجاد أمير الشعراء شوقى حينما وصف حالة العالم المضطربة
قبل مبعث الرسول عليه الصلاة والسلام فقال :

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم الا على صنم قد هام فى صنم

مسيطر الفرس يبغى فى رعيته وقصر الروم من كبر أصم عم

وسط هذا كله اذن الله للنور أن يسطع وللظلمات أن تتبدد وللجهالة
أن تختفى برسالة محمد ﷺ الذى يصف الحق سبحانه رسالته بقوله تعالى :

« يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا »
(سورة الاحزاب)

ولقد واجه الرسول ﷺ فى سبيل دعوته الظلم والاضطهاد والايذاء .
وتحمل ﷺ وأصحابه مالا تتحمله الدنيا مجتمعة ولا تقدر على صبره .

ومما حورب به عليه الصلاة والسلام :

(الحرب النفسية)

والتي سارت مع الدعوة منذ البداية ومع كل مرحلة كانت تتسم هذه
الحرب بأسلوب خاص وطابع معين .

هذا وقد اخترت فترة من فترات الدعوة للبحث والدراسة حول الحرب النفسية - هذه الفترة هي غزوة أحد التي كانت منعطفا بارزا في مسار الدعوة الاسلامية كما يتضح أثناء البحث . . هذا ولما كانت الحرب النفسية تسمية حديثة لفكرة قديمة ، ولكي يتضح هذا بدأت البحث بتعريف الحرب النفسية ثم عقلت بذكر تاريخها وأهدافها وأساليبها وأنواعها .

ثم إنتقلت بالبحث والدراسة في تاريخ الرسول ﷺ في الفترة ما بين بدر وأحد وذكرت مواقف كل من أطراف النزاع في الجزيرة العربية وهم :
(المشركون - اليهود - القبائل العربية - المسلمون) .

وما شهدته هذه الفترة من أساليب الحرب النفسية المختلفة سواء ما شنته الأعداء على رسول الله أو الذي استخدمه المسلمون لتأمين الدعوة الاسلامية ذكرت كل فترة على حده سواء ما كانت قبل المعركة أو أثناءها أو بعدها .

تعريف الحرب النفسية

الحرب النفسية مصطلح عسكى حديث يرادف تعابير :

(حرب الدعاية - حرب الآراء - حرب الأعصاب - الحرب الباردة - الحرب العقائدية) (١) .

وليس من السهل أن نضع تعريفا محددا للحرب النفسية أو نحدد اتجاهاتها تحديدا منضبطا ، فحتى وقتنا هذا فان الحرب النفسية غير واضحة لدى الكثيرين فهي تسمية حديثة لفكرة قديمة ، والجديد دائما يتعذر صياغة تعاريف له قبل ارساء قواعده وضبط أصوله .

(١) مجلة الأزهر عدد رجب ١٣٨٨ هـ مقال اللواء محمود شيت خطاب
(الاسلام في معادلة الحرب النفسية) .

واننى سأعرض عدة تعريفات للحرب النفسية ثم أختار التعريف الذى اراه وافيا وأحدد مصدره وقائله . وهذه التعريفات هى :

١ - الحرب النفسية : هى استخدام أى وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية .

٢ - الحرب النفسية : هى عملية غزو للعقل بهدف اضعاف مقاومته فيهرب المقاتل من المعركة أو يستسلم .

٣ - الحرب النفسية هى : استخدام مخطط من جانب الدولة فى وقت الحرب لاجراء دعاية بقصد التأثير على آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية معادية .

٤ - الحرب النفسية هى : كل ما يتخذه أحد طرفى النزاع من الاجراءات التى يجعل بمقتضاها الطرف الآخر فى حالة انفعالية لا يستطيع معها استخدام كل امكانياته بالشكل والاسلوب لتحقيق النتائج المعقولة المتعارف عليها (١) .

أنواع الحرب النفسية

تتنوع الحرب النفسية الى أنواع ثلاثة وهى :

١ - الحرب النفسية الوقائية .

٢ - الحرب الدفاعية .

٣ - الحرب الهجومية .

(١) الحرب النفسية ج ٢ - تأليف الدكتور عباس حافظ .

وهذه فكرة موجزة عن هذه الأنواع .

١ - الحرب النفسية الوقائية :

وهى عملية مواجهة تصرفات العدو قبل قيامه بها ووضع العوامل المادية والمعنوية والذهنية التى تحول دون استجابة الأفراد والجماعات لدعايات العدو أو تأثرها بها .

نوجزها فى الآتى :

- أ - فى حدود الأمن الداخلى تزال أى قيود للحرية الفردية أو الجماعية .
- ب - تثبيت التجانس الثقافى من أجل الارتباط بعقيدة واحدة بالنسبة للمعركة ولازالة الفوارق الاجتماعية .
- ج - سلامة الادارة والتنظيم ليكون كل فرد من الأمة جزء من آلة شاملة تعمل للنصر فى تنسيق وتكامل .
- د - تثبيت قواعد العدل الاجتماعى وتكافؤ الفرص .
- هـ - الاحتفاظ بجسر من المعلومات الصحيحة بين القيادة والقاعدة لتفادى الهبوط عن حد الثقة .
- و - الارتباط بالاساليب التى ارتضاها الشعب لنفسه فى تنظيم الحكم .

٢ - الحرب النفسية الدفاعية :

وهى مواجهة تصرفات العدو الفعلية عقب قيامه بها لازالة آثارها وتمييع نتائجها على الأقل .

وهى تتضمن :

- أ - دراسة وتحليل تصرفات العدو أولا بأول .
- ب - الكشف عن أهداف العدو ومطامعه .

- ج - حماية الفرد والجماعة من الفراغ الذهني أو التبرم .
- د - ايضاح وحسن تبرير تصرفاتنا أولا بأول .
- هـ - تقوية روابط الأفراد والجماعات .

٣ - الحرب النفسية الهجومية :

وهى مبادرة أفراد العدو بحملات دعائية بقصد وضعهم وقادتهم في حالة انفعالية تحولهم من الاستفادة من امكانياتهم المتاحة بالقدر المعقول المتعارف عليه ويكون الهجوم الدعائى أو النفسى بواحد أو أكثر من الاتجاهات الآتية :

- أ - اشاعة الفرقة الذهنية بين فئات العدو المختلفة والعمل على اجتذاب ولاء واحد أو أكثر من هذه الفئات ودفعهم للعمل لصالحنا .
- ب - التشكك بالتهوين من مصادر أمن العدو ومن ناحية كفاءة قيادته واستمرار ولاء حلفائه .

- ج - اثارة الانفعالات المتعارضة بالتتابع وفى سرعة المفاجأة .
- د - تثبيت أسباب الخوف ومبرراته لدى أفراد العدو وجماعاته
- هـ - فضح مخططات العدو السرية وكذلك تنظيماته وتشكيلاته ,
التي يحرص عليها .

- و - اشاعة الفرقة بين العدو وبين الرأى العام العالمى .
- ز - تعتبر شعوب الدول الحليفة للعدو هدفا سهلا نسبيا لفرد الحليفة عنه .

- ح - العمل على الفوز باعجاب وتقدير واحترام الرأى العا
- قواعد القانون الدولى المشهورة واحترام حقوق الان
- معتقداته الدينية والانسانية .

هذه أنواع الحرب النفسية ، وبذكرها يكون قد تم القاء بعض الأضواء
على جوانب الحرب النفسية الحديثة .

انتقل بعدها الى التاريخ الاسلامى فى أروع صفحاته وأنصح سطور
هذه السطور التى كان مدادها عظمة الرسول ﷺ وإيمان وشجاعة
أصحابه الذين كتبوا آيات المجد والعظمة والخلود ، والتى سنرى نماذجها
المشرقة فى (الحرب النفسية فى معركة أحد) .

(البقية فى العدد القادم ان شاء الله)

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٨٨ / ٦٣٢٥

مطبعة الطاووس ببليبيس

خدمة متكاملة فى كافة مجالات الطباعة
